عندما يكون التسامح صفة أصيلة

□ .. كنت وما أزال أعتقد أنني أمتهن فقط مهنة خدمية انسانية فنية بحتة هي مهنة الطب إلا أنني اكتشفت بشكل جلي ليلة البارحة بالذات أن أي انسان بغض النظر عن مهنته أو تمرسه على الكتابة الأدبية قد يجد نفسه قادرا بل ملزما أدبيا ونفسيا على أن يصوغ انفعالاته وتفاعلاته مع الأحداث من حوله في قالب أدبي على شكل مقالة صحفية أو حتى مجرد خاطرة .. وهذا ما حدث لي شخصيا ليلة البارحة وأنا اجلس متسمرا أمام شاشة التلفاز مشدودا إلى تلك الكلمات التي تنطلق من فم رئيس الجمهورية وقد لمست فيها الصدق الخالص والشفافية المطلقة تنهال منها ، وكأنني اكتشفت صفة جديدة في هذا القائد طالما أخبرني بها كثيرون ممن أعرفهم شخصيا ووقفت منها موقف المتوقع للمبالغة في أقوالهم خصوصا عندما أسقط مثل هذه الصفة «التسامح» على نفسي ، وأنا العبد الضعيف إلى الله أجدني قد لا أصبر على مجرد قدح بسيط من أحد معارفي فأتحين الفرص حتى أرد - الكيل لذلك الصاحب - الصاعين بالصاع الواحد.

د/ محمد يحيى الشامي

■ فما بال الانسان وهو يقف أمام رئيس البلاد وهو يوضح في تواضع إلى ثلة من العلماء الأفاضل ، كيف أن الرد كان قد أصبح ملحا ولا محال منه على ضال مارق يدعى حسين الحوثي عندما دعا إلى دين جديد قائم على العصبية والطائفية والتمويل بالعملة الصعبة ، متناسيا أنه يسيء إلى الوطن الذي أوصله في تسامح خالص وديمقراطية حقة إلى عضوية مجلس النواب ومن بعده منحه الفرصة وربما العون أن يمارس تدريس العلوم الشرعية قبل أن تفوح رائحة الطائفة البغيضة والعصبية المقيتة والتسييس العميل لكتاب الله وسنة رسول الله التي لا يعترف بها .

عجبا لهذا القائد وهو القادر بإشارة بسيطة على سحق أي عميل أو مخرب، عجبا لقدرته على التسامح والصبر وربما لسنوات على من خرج عن الدرب القويم لا يألو جهدا وبكل ما أوتي من قوة أن يحاول رده إلى جادة الصواب ، مستعينا بالمخلصين من ابناء هذا الوطن مستخدما كل وسائل الترغيب ، كل ذلك ورغبة صادقة نلمسها تنطلق من بين شفتيه في حقن الدماء وتجنيب البلاد والعباد تبعات العنف والعنف المضاد.

وعندما وجدتني في تلك اللحظة تأخذني الحمية على هذا الوطن ، وعلى نفسي كفرد من ابناء هذا الوطن ضده هذا الدعي المفسد الذي أساء إلى دينه وبلده وقائد بلده الذي منحه صدرا رحبا لأكثر من فرصة ، وإلى عشيرته التي ينتمي إليها كثير من المخلصين لهذا البلد.

في تلك اللحظة وقعت عيني على عنوان بارز لمحاضرة للشيخ عمر بن حفيظ عن الوسطية والاعتدال في الاسلام قرأت منها (الوسطية هي معنى شامل .. ضابطه الأساسي أن لايتصرف الانسان انطلاقا من انفعال نفسية ، بل يتصرف على أساس المرجعية إلى الخطاب الرباني وما يريده الله تعالى منه. ويترتب على هذا استيعاب الموالي والمخالف واستيعاب القريب والبعيد والمسلم وحتى غير المسلم، على نحو يحفظ على المؤمن صلته بربه).

وكأني بالاخ الرئيس قد قرأ مثل هذا الكلام واستوعبه منذ زمن بعيد .. فكان قائدا يده بيضاء من غير سوء.

والله من وراء القصد.

البحث في الهوية العربية: التعدد في الوحدة والعكس الصحيح

سامي خشبة

لم تكن رحلتنا الطويلة ـ التي استغرقت الأسابيع الستة الماضية للبحث عما إذا كانت هناك هوية أوروبية ـ لم تكن تلك الرحلة مدفوعة بمناسبة الاجتماعات الأوروبية التي سبقت بداية رحلتنا مباشرة، أو تلك التي سبقت آخر مراحلها ـ والتي شهدت الاتفاق على الدستور الأوروبي الواحد.

بل ولم تكن الرحلة مدفوعة بأحداث ونتائج القمة العربية الأخيرة في تونس؛ وهي التي تنضم الى قائمة الوقائع التي تغري العقل العربي بأن يقارن الخطوات العربية المتعثرة بالخطوات الأوروبية المناظرة الناجحة ـ على الرغم من إيمان الفكر العربي السائد ـ بكل تخصصاته النظرية والتطبيقية ـ بأن الأمة العربية حقيقة ثقافية/ تاريخية لا شك فيها؛ وأن الهوية العربية بالتالي حقيقة فعلية لا شك فيها أيضا؛ وإنما كان الدافع الفكري والعملي في وقت واحد هو القراءة المتأنية والنقدية لوثيقة الأسكندرية، التي صدرت عن مؤتمر قضايا الاصلاح العربي: الرؤية والتنفيذ الذي عقدته مكتبة الاسكندرية في الأيام من ١٢ إلى ١٤ مارس الماضي ـ بالاشتراك مع خمس من أكبر مؤسسات العمل العربي الأهلية العاملة في المجالات العلمية والبحثية والقانونية والاجتماعية، وهو المؤتمر الذي افتتحه الرئيس حسني مبارك بكلمة طالب فيها ممثلي المثقفين العرب والمجتمع المدني العربي بطرح رؤية رشيدة، عقلانية وأصيلة للاصلاح العربي وبطرح مقترحاتهم لتنفيذها.

لقد أسفرت القراءة المتأنية النقدية لهذه الوثيقة البالغة الأهمية عن اكتشاف أولي بسيط هو غياب مصطلح الهوية عن معجم المفردات التي استخدمتها الوثيقة؛ على الرغم من الظهور الواضح لكل المعاني والدلالات ـ النظرية والعملية ـ التي طورها الفكر الاجتماعي/ السياسي القانوني والثقافي المعاصر ـ لمفهوم الهوية.. ظهرت تلك الدلالات بوضوح في خلفية خطاب الوثيقة كله؛ منذ السطور الأولى في التمهيد؛ مع استخدام عبارة: الوطن العربي ـ مما يؤكد التسليم بوجود الأمة الواحدة؛ ثم تظهر عبارة: مجتمعاتنا العربية مما يعني التسليم بأن الوطن الواحد أو الأمة الواحدة، والهوية، الواحدة بالتالي يضمان مجتمعات متنوعة تشترك في قواسم مشتركة ـ وهذه هي العبارة المهمة التالية ولكن خطاب الوثيقة يتبعها بجملة مهمة تقول: مما يتيح لكل مجتمع عربي كي يدفع خطوات الاصلاح الخاصة به إلى الأمام... وهو ما يعني أن لكل مجتمع هوية خاصة؛ كلها تجمعها.. قواسم مشتركة تتشكل فيها الهوية الواحدة للأمة؛.. ولو تتبعنا نص الوثيقة لاكتشاف معجمها العام، أو ما يعرفه منهج تحليل الخطاب بـ: الكلمات المفاتيح ـ لو تتبعنا النص في أبواب الوثيقة عن كل من الاصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي بحثا عن تلك الكلمات المفاتيح ـ لاتضح ـ لنا أنه خطاب يعي تماما ذلك الترتيب العقلاني للهويات المتعددة، التي تتكون منها في النهاية الهوية الاطار؛ أي الهوية الجامعة المشتركة أو الموحدة (بكسر وتشديد الحاء)...

إنه الترتيب الذي يبدأ بحقوق المواطن "الفرد" وواجباته وهو ما يعني التسليم بهويات متمايزة للأفراد تليها وتجمعها حقوق مكونات المجتمع ـ من مؤسسات وتنظيمات وجماعات قانونية أو ذات تكوين اجتماعي/ تاريخي تلقائي تتشكل منها جميعا الهويات الاجتماعية الثقافية المتمايزة داخل المجتمع لتقوم ـ لكل مجتمع من مجتمعاتنا دولته الخاصة التي تتجمع في هويتها الموحدة، كل هويات مجتمعها ـ المتعددة.

من ذلك نفهم أن مصطلح الهوية لم يعد يشير إلى كيان مصمت أو مغلق أو نهائي بل إنه كيان حي واحد ومتعدد المكونات في آن معا وإذ ينطبق ذلك على هوية مجتمع واحد له دولته الوطنية الموحدة والمتعددة المكونات؛ فإن الفهم ذاته ينطبق على أمتنا الواحدة المكونة من مجتمعات/ دول متعددة، تتكون بدورها من مواطنين "أفراد" لهم مؤسساتهم التي تتصاعد وتتجمع لكي تتكون منها المجتمعات والدول.

●●●

على أساس هذه القراءة لمعجم الوثيقة ـ أو على أساس هذا التحليل لخطابها ـ نستطيع أن نتبين أن وثيقة الاسكندرية قد أعربت ـ ايضا ـ عن تطور كيفي لحق الفكر العربي ـ الذي مثله أعضاء المؤتمر ـ منذ بدأ هذا الفكر القومي يعالج إشكالية الهوية في أواخر القرن التاسع عشر وطوال القسم الأكبر من القرن العشرين.

فقد يكون من المهم ـ إذن ـ أن نلقي نظرة على عوامل هذا التطور؛ وأن نحدد المجالات التي تتجسد فيها هوية الأمة، متعددة المكونات لكي تتمثل لنا هوية واحدة مع تعددها وبفضل تماسك هذا التعدد.

●●●

عوامل عديدة تفرض على الفكر العربي الآن أن يطرح ـ من زوايا واقعية وعلمية ـ القضايا المتعلقة بإشكالية الهوية أقول القضايا لا القضية بسبب ما أفرزته التطورات المتلاحقة والمتداخلة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، في الواقع العربي، وبسبب ما تفرضه تطورات مناهج ومدارس المعرفة العلمية الاجتماعية الحديثة خلال الحقبة المعاصرة من تاريخ العالم على اتساعه، ومن تاريخ العالم العربي ومن تاريخ أو تطور المعرفة الاجتماعية.

فلقد أفرزت التطورات الواقعية في عالمنا العربي خلال تلك الحقبة ظواهر وكيانات سياسية/ اجتماعية/ ثقافية/ اقتصادية فقامت بين تلك الكيانات أنواع متباينة من العلاقات بناء على ما فرضه ظهور الكيانات نفسها من حقائق لا بد من رصدها ومعالجتها في ضوء ما تنبهنا اليه التطورات المعرفية والمنهجية الحديثة.

وقد يكون ملائما أن نشير منذ البدء الى أن الفكر العربي الذي أنتجه مفكرون عرب من أقطار عربية مختلفة وممن ينتمون الى مدارس "أو حتى الى أيديولوجيات" فكرية متباينة ـ على طول القرن العشرين ـ لم يطرح "هذا الفكر" اشكالية الهوية الا فيما يتعلق بالجدل حول مسألة الانتماء الحضاري/ الثقافي للكتلة الانسانية التي أشار إليها هذا الفكر دائما باعتبارها الأمة العربية ـ على أساس أنها تستخدم اللغة العربية الفصحى لإنتاج الثقافة الرفيعة أو «الثقافة العالمة» وأنها تمتلك تراثا ثقافيا واحدا أنتج وتم حفظه بهذه اللغة وفي ضوء مجموعة من الثوابت الثقافية المشتركة وعلى أساس أن مجتمعات هذه الأمة تشترك في الكثير من مكونات تاريخها السياسي/ الاجتماعي، وأنها تجمعت خلال القرن العشرين شعوريا ونفسيا حول أزمات حادة كأزمة انسلاخها من الدولة العثمانية "التركية" حتى قبل سقوط هذه الدولة في نهاية الحرب العالمية الأولى وأزمة القضية الفلسطينية منذ ثلاثينيات القرن وحرب التحرير الجزائرية وأزمة الدعوة الى التوحيد السياسي الشامل والاندماجي على أساس قومي عروبي في مواجهة الدعوة إلى توحيد اسلامي على أساس ديني في المرحلة المفصلية بين منتصف الخمسينات حتى منتصف ستينيات ذلك القرن، ثم أزمة سقوط مشروع التوحيد السياسي القومي بعد نكسة ١٩٦٧ والحرب الأهلية اللبنانية حتى أزمات التحول الاجتماعي/ الاقتصادي المصاحبة لثورة النفط في منتصف السبعينات ثم ظهور التجمعات الدولية الأقليمية المتمايزة داخل التجمع العربي ونظامه الأقليمي، والصعود المتوتر للتيار الديني في مواجهة ـ وبوصفه بديلا ـ لكل من مشروع التوحيد القومي وللمشروع التحديثي بكل توجهاته وبكل مراكزه، ثم الأزمة البنيوية المنسوبة الى تمايز مراحل التطور التي قطعها كل مجتمع أو مجموعة من مجتمعات تلك الشعوب، وتقاطع تلك المراحل مع التوزيع المتنافر للثروة فيما بينها، وما وصل اليه الأمر من ربط صياغة جديدة للمشروع القومي ذاته بتشكيل ثقافي يجمع بوضوح بين بنية ثقافية تقليدية "سلفية" وبين استعارات سطحية من الجوانب المتحللة لثقافات أخرى، ولجوانب من البقايا المتحجرة من المشروع القومي/ التحديثي المتعثر ذاته.

لم يطرح الفكر الذي أنتجه مفكرون ينتمون الى هذا القطر العربي أو ذاك أو الى هذه المدرسة "أو الايديولوجيا" الفكرية أو تلك، اشكالية الهوية الا من تلك الزاوية: زاوية الانتماء الحضاري/ الثقافي لما أجمعوا على أن يطلقوا عليها دائما عبارة الأمة العربية بصرف النظر عن كل تلك الأزمات ـ وما تشير اليه وما تعبر عنه من تحولات كيفية لحقت ببنية هذه الكتلة الانسانية ومجتمعاتها المتمايزة، رغم أنها تستخدم العربية الفصحى وتشترك في التراث المكتوب لهذه اللغة وفي الكثير من مكونات تاريخها السياسي/ الاجتماعي. فرغم هذه التحولات وما انتجته اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا من ظهور وترسخ كيانات ذات هويات خاصة متمايزة فقد تركز التناول الفكري العربي لاشكالية الهوية على هوية الأمة مع تصورها بوصفها جماعة قومية مصمتة.

كما لم يتنبه ذلك التناول الا بشكل جزئي تماما لاشكالية الهويات الفرعية التي توجد حول وعلى أساس الثقافات الفرعية التي توجد داخل تلك الكيانات السياسية/ الاجتماعية/ الثقافية، كما لم يعن أي ممن تناولوا اشكالية الهوية فيما يعلم كاتب هذه السطور بإشكالية الهوية الفردية ـ الشخصية أو الاجتماعية ـ وللافراد وأسسها وعوامل ودوافع تكونها وتحولاتها "ربما باستثناء دراسات نظرية تمت في حدود البحث الاكاديمي في أقسام علم النفس أو علم الاجتماع الجامعية".

• كاتب ومفكر مصري

من الملف الخاص..؟!!

محمد قاسم الجرموزي

■ .. لو تأخرت يومين أو ثلاثة عن فتح بريدي الإلكتروني أجده ممتلئاً وقد ظهرت الإشارة الحمراء مع تنبيه من الـ«هوت ميل» بتخفيف الرسائل كي لا يتم توقيفه.

شعور رائع ولحظات جميلة أعيشها مع رسائل القراء سواء بالاطناب والاعجاب أو النقد والملاحظة..، وفي كلا الحالتين أشكر كل من كلف نفسه وجلس على جهاز الكمبيوتر وقام بطباعة رسالة وأرسلها إلي..، وهذا سلوك قمة في الروعة والتفاعل واعتبره ثروة كبيرة احتفظ بها في ملف خاص.

●●●

■ **احتجاج..؟!!**

القارئ بشير شعيبي كتب رسالة بلغة إنجليزية جيدة نصفها اعجاب والنصف الآخر احتجاج على الكتابات التي نشرتها هنا في هذه الزاوية عن رحلتي الأخيرة للولايات المتحدة بداية هذا الشهر وقال ان هناك مواضيع وقضايا أهم من تلك الانطباعات الشخصية السطحية..!!

عموماً يا عزيزي بشير شكراً ولا بد من توضيح التالي:

الكتابة الصحافية لليوميات لها عدة أنواع ومنها مقال الرحلات الذي يتناول فيه الكاتب الصور والمشاهدات التي تقابله..، وما اخترته ونشرته إلا جزء بسيط ومناسب.. والمجتمع الأمريكي غير المجتمع الماليزي..

كما أن الصحافة -من وجهة نظري- يجب أن تعتمد على المتعة ولفت نظر القارئ لتوصيل المعلومة وخصوصاً في كتابات «اليوميات» التي تختلف عن «الافتتاحيات» فهذه الأخيرة تعتمد على الجدية والرصانة وتعبر عن وجهة نظر الصحيفة أو الحكومة أو الحزب.. هذا من ناحية.

أما الناحية الأخرى فهي: لو كان كل كتاب اليوميات بنفس النمط ويركزون على نفس القضايا -التي سميتها أنت قضايا مهمة- لكان القارئ قد «طفش»...؟!! فالتنوع مطلوب.

●●●

■ **حصانة..؟!!**

القارئة ارحاب عبدالله الارحبي المعيدة في قسم اللغة الإنجليزية جامعة صنعاء كانت على النقيض من القارئ السابق فقد أعجبت بتلك الانطباعات وطالبت بالمزيد.

عزيزتي أرحاب شكراً ،أما بخصوص مشكلتك فأنا آسف لما حصل لك ولسيارتك من حادث كان سببه -كَما ذكرت- سيارة السفارة المصرية وأنا هنا أضع المشكلة على الأخوة في مرور العاصمة لانصافك..، ولا أظن ان الحصانة الدبلوماسية تسمح لسائقي السفارات بالمخالفات والاعتداء على الآخرين..، وأنا متأكد من أن الأخوة في السفارة المصرية لو وصلهم خبر ما حصل وتأكدوا من خطأ سائقهم لن يتوانوا في اعطائك حقك..!!

●●●

■ **كهرباء..؟!**

زميل الدراسة القارئ محمد عايض النقيب أرسل بالمقترح التالي: إذا كان ولا مفر من اطفاءات الكهرباء فلماذا لا تقوم مؤسسة الكهرباء بتحديد مواعيد لتلك الاطفاءات كي يعمل المستهلك حسابه لتلك اللحظة ويجهز نفسه لفصل التيار عن الأجهزة الكهربائية حتى لا تتلف، وإذا كانت لدى البعض أعمال في أجهزة الكمبيوتر يدبرون حالهم..، وأشياء كثيرة ممكن المستهلك يستفيد منها من تحديد مواعيد الاطفاءات والإنارة..؟!!

●●●

■ **"نرفزة"..؟!!**

القارئة عالية الشامي شكراً على كلماتك الجميلة:

وأنا معك ١٠٠٪ بأن سائقي الباصات الصغيرة «الدبابات» والمتوسطة يحتاجون إلى توعية وحزم ومتابعة يومية.. لأن تصرفاتهم منرفزة للجميع وأصبحوا يشكلون قلقاً بالغاً لمن في الشارع والرصيف معاً..، كما أن بعض رجال المرور يبدو وكأنهم قد استسلموا لهذا الوضع غير الطبيعي الذي يتطور يوماً بعد يوم..؟!! مثله مثل كارثة سموم عوادم السيارات..؟!!

●●●

هذه أهم الرسائل التي وصلتني مؤخراً.. كما أشكر الذين اتصلوا والذين عبروا عن مشاعرهم وجهاً لوجه..

aljermozi@hotmail.com

الأطفال الموهوبون

محمد علي خالد

□ .. إذا كان الاهتمام بالأطفال المعاقين من الناحية العقلية خليقاً بالثناء ومفيداً فإننا نرتكب خطأ إذ نغفل فئة أخرى من الأطفال الذين نتركهم في البلبلة الأكثر إتصافاً بأنها تامة إلى حد يؤدي بهم إلى اليأس أنهم الأطفال الموهوبون وربما يقول بعض الناس إن الأطفال الذين وهبهم الله مواهب ممتازة ومهارات عالية ليسوا بحاجة للمساعدة أبداً.

ومن المؤكد هنا القول أن الطفل الموهوب يبرز دون عون الجماعة في كثير من الحالات ويشق طريقه في المجتمع بسهولة ولكن الأمور لاتسير دائماً على هذا النحو، فلا نعرف شيئاً أكثر مجلبة للحزن من أن تتقهقر عبقرية كامنة تقهقراً بطيئاً وعبقرية يكتم أنفاسها أناس أسوياء كما يفعل على وجه الدقة بالموهوب ، فالسأم في الصفوف التي يكرر فيها المعلمون مفهومات يتم تمثيلها وتصورها على الفور يحبط الطفل الموهوب لأن الكلمة لا تتصف بالمبالغة حيث ينتهي إلى أن يتخلى عن عبقرية وغير خاف أن الاهتمام بالأطفال الموهوبين قديم جداً ففي الجمهورية يقضي (أفلاطون) بتميز الأطفال حتى في أسر الفلاحين والصناع وفي القرن الخامس عشر أسس السلطان (محمد الفاتح) مدرسة خاصة هدفها أن تنشئ أفكاراً رائعة في أجسام مخشوشنة.

وقد أستوحى (جيفر سون) أحد رؤساء أمريكا في أفلاطون فكرته حيث اقترح أن تجمع أفضل العبقريات في ولاية فرجينيا في مدرسة خاصة - أطفال الفقراء وأطفال الأغنياء على حد سواء وفي وقت متأخر اتجه الإهتمام العام صوب الأطفال المعجزة وتحمس عامة الناس والعلماء (لكارل وايت) الذي كانت جامعة (لايبزغ) قد استقبلته دكتوراً في الفلسفة وهو في الرابعة عشرة من عمره وكان يقرأ الألمانية ويعرف الفرنسية وكان يحفظ خمسمائة حكمة لاتينية.

للأسف لم يعد ثمة أي اهتمام بالأطفال المعجزة في أيامنا هذه.

هنا أتساءل كيف نرعى أطفالنا الموهوبين؟؟

إن (غالتون) الذي كان طفلاً معجزة هو الذي شاد علم الأطفال الموهوبين فوصف طباعهم واهتم بعبقريتهم.

وأشير هنا إلى الجهات المختصة وما الذي قدمته فأين برامجها الإثرائية ومناشطها الفاعلة وسعيها الدؤوب لرعاية كل موهوب.

ويبقى الطريق أمامنا طويلاً .....

رأي بالكاريكاتير